محاضرات في مقياس مصادر اللغة و الأدب والنقد .

السنة الأولى . جذع مشترك . السداسي الثاني .

وحدة التعليم المنهجية : الرصيد: 03 . المعامل:02 .

أ/ناصر عبد العزيز .

المحاضرة الرابعة : المعاجم اللغوية القديمة .

أولا - المعاجم العربية القديمة :

كانت البداية بجمع" غير ممنهج " منذ أواخر القرن الأول دام قرنا تقريبا. عمل علماء اللّغة في هذه المرحلة على أخذ الألفاظ من أفواه عرب البوادي الفصحاء ، والذين لم يختلطوا بعد بالأعاجم أغلبهم من أسد ، قيس، تميم ،وهذيل ، وهذا ما أشار إليه السيوطي في قوله: والذين عنهم نقلت اللّغة العربية وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس، تميم، أسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه،وعليهم اتّكل في الغريب والإعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين . ويعّد أبو عمرو بن العلاء (ت 051هـ) من رّواد هذه المرحلة ، وقد كان يستنطق الأعراب ويطيل الاستماع إليهم.أما المرحلة الثانية فقد بدأت بتدوين الألفاظ في رسائل متفرقة عرفت قدرا من التنظيم في التأليف ، كجمع الألفاظ التي تشترك في حرف واحد مثلا، أو الألفاظ الأضداد،أو التي ألفت في مثلث الكلام كمثلث قطرب (ت112هـ) ، ومنها ما ألّف في موضوع واحد ككتاب "اللّبأ واللبن"، وكتاب "الهمز" لأبي زيد الأنصاري(ت105ه) ،وكتاب "الخيل،" و"الشاء" للأصمعي(ت 102ه) .
وفي المرحلة الثّالثة برز تخصص جديد اعتمد على المرحلتين السّابقتين مع توُّجه نحو التّجريد لنقل أكبر عدد من ألفاظ اللّغة العربية ، فكانت البداية للتّأليف المعجمي بريادة الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب "معجم العين " .

ثانيا - تعريف المعجم :

هو حصر ألفاظ اللغة العربية على نحو شامل في إطار نظام منهجي واضح له أسسه وقواعده المضبوطة . أو هو مرجع يشتمل على مفردات لغة ما مرتبة عادة ترتيبا هجائيا ، مع تعريف كل منها، وذكر معلومات عنها من صيغ ونطق واشتقاق ومعان واستعمالات مختلفة ، ومن أمثلته : المعجم الوسيط ومعجم العين ومحيط المحيط . ويطلق تعبير «المعجم» بمعناه العام على كل قائمة تحتوي على مجموعة من الكلمات من أية لغة مع مراعاة ترتيبها بصورة معينة ، ذات منهج ، مع تفسيرها بذكر معناها واستعمالاتها المختلفة ، ويدخل في هذا التعريف المعاجم بمفهومها المعروف لدينا ، وكذلك كتب النوادر والغريب ، ورسائل الألفاظ التي توضع لهدف تعليمي تربوي .
جاء في المنجد مادة «ع ج م» عجما الكتاب أو الحرف : نقطه بالسواد . أو «عجم» و«أعجم» الكتاب : أزال عجمته وإبهامه وأصله من أعجم الكلام أو الكتاب أي أزال عجمته وإبهامه وفسره ، و حروف المعجم هي: الحروف الهجائية .

وأما المعجم في اصطلاح المحدثين فهو المصنف الذي تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة كالمعجم الكبير للطبراني الذي يقول في مقدمته : هذا كتاب ألفناه ، جامع لعدد ما انتهى إلينا ممن روى عن رسول الله من الرجال والنساء ، على حروف : ألف، ب، ت، ث .. وحروف المعجم كما في التاج هي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الأمم . قال ابن الأثير : حروف المعجم : حروف أ ب ت ث... سميت بذلك من التعجيم ، وهو إزالة العجمة بالنقط . وإذا قلت كتات معجم ، فإن تعجيمه تنقيطه لكي تستبين عجمته ويتضح . فالمعجم بالمعنى العام ما هو إلا مجموعة من كلمات لغة ما مرتبة ترتيبا خاصا . وبهذا فإنه مطلق على كل الكتب التي تضم قوائم من الكلمات ككتب النوادر والهمز والحيوان وخلق الإنسان وغريب الحديث . فمصطلح المعجم يطلق على كل كتاب يضم أكبر كمية من ألفاظ لغة معينة ، وبهذا التحديد للمصطلح نخرج مجازا من المعاجم الرسائل الصغيرة التي كانت تضم بعض الكلمات الغريبة أو النادرة .

و سميت المعاجم باسم آخر لا شك ولا غموض فيه ، هو القواميس (مفردها قاموس). وأتاها هذا الاسم من تسمية معجم الفيروز آبادي بالقاموس المحيط ، ومعناه البحر المحيط ، أي الواسع الشامل . فلما كثر تداول هذا المعجم في أيدي المتأخرين ، وقصروا جهودهم عليه ، اكتفوا بتسميته بالقاموس. ثم اشتهر هذا الاستعمال حتى أصبح مرادفها لكلمة معجم لغوي ، وأطلق على جميع المعاجم اللغوية الأخرى المتقدمة والمتأخرة . وتسمية المعجم باسم القاموس من باب التوسع ، وهي لا تخالف طرائق العرب في التوسع اللغوي ، ويقال في إيضاح معنى المعجم ووظيفته إنه : كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة ، مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا ، إما على حروف الهجاء ، وإما على الموضوع . واختصارا هو : كتاب شامل يجمع المُفترض والمُتوالد من الوحدات اللغوية التي يمتلكها قوم ما . يصنف وفق طريقة (ترتيب) مختارة من قبل جامعه يعرض من خلالها الكلمة شارحا إياها مع بيان جذرها واشتقاقاتها وطريقةنطقهاومرادفاتها

ثالثا - أنواع المعاجم :

يمكن تصنيف المعاجم حسب معايير - شروط - أهمها : الموضوع . التّخصص. المنهج .

1-معاجم الألفاظ : تهتم بشرح الألفاظ العربية وبيان اشتقاقاتها ومواضع استخدامها . ولقد اجتهد العلماء قديما في تصنيف هذه المؤلفات حسب طرق و مناهج مختلفة هي:

أ - الّترتيب حسب مخارج الحروف :

يتم في هذه الطريقة ترتيب الألفاظ بحسب ترتيب مخارج حروفها من الفم ، وُيبحث بعد ذلك في تقاليب هذه الكلمة . وترتيب الحروف في هذه الحالة صوتًّيا مختلف عن ترتيبها هجائًّيا ، و ترتيبها بحسب مخارجها يكون على النحو الآتي : (ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، أ، ي) . وأول من أَلّف وفق هذه الطريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين ، وتبعه على هذا النهج أو ما يُشابهه عدٌد من العلماء ، أبرزهم : محمد بن أحمد الأزهري (ت 271هـ) في معجمه "تهذيب اللغة"، وابن سيده علي ابن إسماعيل (ت 154هـ) في معجمه "المحكم." .

ب-الّترتيب حسب أواخر الألفاظ :

ويتم ترتيب الكلمات هجائًيا بالنظر إلى الحرف الأخير من الكلمة ثم الحرف اولها ، ويكون الحرف الأخير في باب ، والأول في فصل . فكلمة (بدع) نجدها في باب العين فصل الباء . وأّول من أّلف على هذا النمط أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البُندنيجي (ت 141هـ) في معجمه "التقفية في الّلغة "، ثم تبعه على هذا المنهج عدٌد من
العلماء منهم الجوهري إسماعيل بن حماد (ت 292هـ) في معجمه " تاج اللغة وصحاح العربية"، وابن منظور في معجمه "لسان العرب"، والفيروزأبادي في "القاموس المحيط"، والزبيدي في "تاج العروس" وهو شرح للقاموس المحيط.

ج- ترتيب الألفاظ حسب أوائلها :

يُنظر إلى الكلمة حسب الحرف الأول فالثاني فالثالث ..، وأّول من سلك هذا المنهج ابن دريد محمد بن الحسن
(ت 210هـ) في معجم "جمهرة اللغة" . ثم أّلف الزمخشري (ت 524هـ) معجم "أساس البلاغة" على هذه الطريقة ، الذي تفّرد من بين المعاجم العربية بالحديث عن المعاني المجازية ، ولذلك قد لا يوجد ذكٌر لكلمات فيه لانها تُستخدم استخداًما مجازّيا .

2-معاجم المعاني :

معجم المعاني كتاب جامع للألفاظ حسب موضوعها كأن تكون ألفاظا متعلقة بالّلباس أو الأكل أو السلاح وغيره من الموضوعات والمعاني. منها : كتاب الإبل - كتاب السلاح - خلق الإنسان للأصمعي (ت 102هـ) .
كتاب الخيل لأبي ُعبيدة َمْعَمر بن المثّنى . كتاب الألفاظ ليعقوب بن الِسّكيت (ت110 هـ) . فقه الّلغة وسّر العربية لعبد الملك بن محمد الثعالبي (ت 119هـ) .

3-أنواع أخرى من المعاجم :

عرفت العرب أصنافا متعددة من المعاجم غير التي وضعت لجمع اللغة وشرحها ،فعلماء الحديث - مثلا- في القرن الثالث و الرابع للهجرة صنفوا كتبهم وفق الترتيب الهجائي حيث استعمل البخاري (ت 152هـ) مصطلح (حروف المعجم) في كتابيه : (التاريخ الكبير) و (الصحاح). واستعمل لفظة (المعجم) بمعناه الاصطلاحي أبو يعلى التميمي الموصلي (ت 217هـ) إذ سمى كتابه (معجم الصحابة) وأّلف المحِّدث أبو القاسم الطبراني (ت 221هـ) (المعجم الكبير والمعجم الصغير) في الحديث النبوي الشريف ثم شاعت هذه التسمية (المعجم) لتشمل كل كتاب رتب على نسق الحروف الهجائية ، فظهرت مؤلفات كثيرة منها : معجم الشعراء للمرزباني (ت241هـ) ومعجم الأدباء ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت212ه)..

رابعا- من أسباب تأليف المعاجم وفوائدها :

1- العناية بفهم آيات القرآن الكريم ،حيث أن تفسير مفرداتها يعين على معرفة معنى آياته. وذلك بمراجعة المؤلفات في غريب القرآن.
2-تفسير الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث المروية عن الرسول(ص) ، والآثار الواردة عن الصحابة (ض) والتابعين رحمهم الله تعالى في كتب غريب الحديث .
3-معرفة المراد بألفاظ بعض فقهاء المتون ، وربطها بالتعريفات الاصطلاحية عندهم . وذلك في المؤلفات الخاصة بغريب ألفاظ الفقهاء .
4- فهم مفردات القصائد الشعرية العربية ، والقطع النثرية الغامضة .
5-تدوين اللغة العربية خشية ضياع شيء من مفرداتها لاسيما في حياة فصحائها والمحافظة عليها من دخول ما ليس من مفرداتها.
6-ضبط الكلمات المُعضلة بالشكل ومعرفة نطقها من الصحيح.
7-بيان اشتقاقات الكلمة وتصريفاتها وجموعها ومصادرها ونحو ذلك.
8-تحديد أماكن بعض المواقع الجعرافية والمدن التاريخية.
9- حفظت لنا المعاجم كما هائلا من الشواهد الشعرية ، ولولاها لماتت مع أصحابها الذين لم تجمع أشعارهم.
10-اكتساب ثروة لغوية كبرى لاسيما عند تعدد مدلولات الكلمة واختلاف معانيها بحسب سياقها وذلك دليل على سعة وشمول لغة العرب .